

تفسير ابن كثير

* وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنْهَا فَضْلًا يَا جِبَالَ أُورِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ صَلِّ وَالذَّلَّ لَهُ الْحَدِيدَ

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود ، صلوات الله وسلامه عليه ، مما آتاه من الفضل المبين ، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذوي العدد والعدد ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم ، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات ، الصم الشامخات ، وتقف له الطيور السارحات ، والغاديات والرائحات ، وتجاوبه بأنواع اللغات . وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الأشعري يقرأ من الليل ، فوقف فاستمع لقراءته ، ثم قال " لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود " . وقال أبو عثمان النهدي : ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا وتر أحسن من صوت أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه . ومعنى قوله : (أوي) أي : سبحي . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد . وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبحي بلسان الحبشة . وفي هذا نظر ، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع ، فأمرت الجبال والطيور أن ترجع معه بأصواتها . وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه " الجمل " في باب النداء منه : (يا

جبال أوبي معه) أي : سيرى معه بالنهار كله ، والتأويب : سير النهار كله ، والإسآد :
سير الليل كله . وهذا لفظه ، وهو غريب جدا لم أجده لغيره ، وإن كان له مساعدة من
حيث اللفظ في اللغة ، لكنه بعيد في معنى الآية هاهنا . والصواب أن المعنى في قوله تعالى
: (أوبي معه) أي : رجعي معه مسبحة معه ، كما تقدم ، والله أعلم . وقوله : (وألنا له
الحديد) : قال الحسن البصري ، وقتادة ، والأعمش وغيرهم : كان لا يحتاج أن يدخله
نارا ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط ; ولهذا قال :